الباب التاسع عشر

فى الإضافة والضيف !

- منزلة الضيف .
- رسوم الضيافة وتقاليدها .
- ترك التحميد وسط الأكل .
- من أحسن ما قيل فى إكرام الضيف .
- البشاشة وحسن اللقاء .
- البسط وتبادل أطراف الحديث .
- تعجيل الطعام للضيف .
- تأجيل الغداء إلى العشاء !
- إكرام مطية الضيف .
- بذل الطعام أولا بأول .
- من الأمثال السائرة
- ما قيل فى ذم البخل والبخلاء !!

الباب التاسع عشر

(فى الإضافة والضيف)

منزلة الضيف :

● جاء فى الخبر : «الضيف دليل الجنة» .

● وفيه : «ضيف بَشوش هدية من الله تعالى» .

● وفيه : «لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه ، ومن أبغض الضيف أبغضه الله»[1] .

● وكان يقال : «إكرام الأضياف من عادات الأشراف»

● وكان شقيق البلخى يقول : «ليس شيءٌ أحبَّ إلىّ من الضّيف ! ؛ لأن مؤنته على الله ، ومحْمَدَته لى !»[2] .

● وكان يحيى بن مُعاذ يقول : لو كانت الدنيا فى يدى لوضعتها فى يد ضيفى !

رسوم الضيافة ، وتقاليدها :

● وكان إسحق الموصلى كثيرا ما يُنْشد :

وإذا طُرِقْتَ فما حضـــر ... وإذا دعـوت فلا تَـــذَر

● وممّا يُسْتَحْسَنُ لبعضهم :

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، ولكن هناك ما أخرجه البيهقى فى الشعب عن سلمان كما فى الفردوس (٧٧٠٥) : «**لا يتكلفن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه**» ، والخطيب فى تاريخ بغداد (٢٠٥/١٠) ، وأورده الهندى فى الكنز برقم (٢٥٨٧٦) .

(٢) وقد ذكر العجلونى حديثا يشير إلى هذا المعنى وهو «إذا دخل الضيف على قوم دخل برزقه ، وإذا خرج خرج بمغفرة ذنوبهم» . قال السخاوى : رواه الديلمى بسند ضعيف عن أنس مرفوعا وله شاهد عند أبى الشيخ . وما أحسن قول الشاعر :

لم لا أُحِـــبُّ الضيـــفَ أو ... أرتـــاحُ من طَـــرَبٍ إليـــه
والضيـــف يأكـــل رزقـــه ... عنـــدى ويشـكـرنى عليـــه ؟!

قدّم طعامَك وابذلْه لمن دخلا ... واحْلف على من أبىَ ، واشكر لمن أكلا
ولاتكُنْ سابِرِىّ العِرض محْتشما ... من القليل ، فلست الدهرَ مُحْتَفِلاَ[1]

ترك التحميد فى وسط الأكل :

● ويقول الآخر فى «ترك التحميد» فى وسط الأكل على المائدة مع الأضياف :

وحمدُ الله يحيِنُ كُلّ وقتٍ ... ولكن ليس فى وقت الطعام
لأنك تحشمُ الأضياف عنه ... وتأمرهم بإسراع القيام !
وتؤذيهم ؛فما قنعوا لشبع ! ... وهذا ليس من خلق الكرام !

من أحسن الشعر فى إكرام الضيف :

● ومن أحسن ماقيل فى إكرام الضيف قول بعض الأعراب :

إذا ماصَنَعْت الزّادَ فالتَمِسى له ... أكيلا ؛ فإنى لست آكِلَه وحدى !
وإنى لَعَبْدُ الضيفِ مادام ثاوياً ... ومافىّ إلا تلك من شيمةِ العبد[2]

● وقول المحدث :

كونوا خَدَم الضّيفِ ... إذا الضيفُ بكم نَزَل
وكونوا دونَه الأضيا ... فَ فالضيف له النّزُل[3]

● ومن أحسن ماقيل :

رمَقْتُ الضيفَ لما قيل : ضيفٌ ... لِحُبى للضيوفِ النازلينَا

---

(١) سابرىّ العرض : رقيقا . أى لا يكن عرضك شفافا كثوب سابرى نسبة إلى سابور (مدينة) . والبيت الأول يتضمن أربع وصايا تعد دستوراً لآداب الضيافة هى : تقديم الطعام ، وبذله لمن دخل زائرا ، والحلف على من يتمنع ، وشكر من أكل على تلبية الدعوة . أما البيت الثانى فهو يغلق باب التعلل بأعذار واهية فمن يخجل من القليل لن يحتفل بضيف طول الدهر !

(٢) ثاويا : نازلا ومقيما ، وأحفظ هذا البيت منذ الصغر :

وإنى لعبدُ الضيف مادام نازلا ... وما شيمةٌ لى غيرها تشبه العبدَ

(٣) ويلتقى هذا البيت مع ما نردده تحية للضيف :

ياضيفنا لو زرتنا لوجدتنا ... نحن الضيوفُ وأنت رب المنزل !

البشـاشة وحسـن اللقـاء :

● ومن أحسن ماقيل فى البشاشة للضيف قول الحريمى :

أضاحك ضَيفى قبلَ تَنْزَالِ رحله ... فيخصُب عِنْدى والمحلّ جَديبُ
وما الخِصْبُ للأضيافِ أن يكثُر القِرى ... ولكنما وجه الكريم خصيب[1]

البسط وتبادل أطراف الحديث مع الضيف :

● ومن أحسن ماقيل فى «البَسْط» مع الضيف :

وَرُبّ نِضْوٍ طرَقَ الحَىَّ سُرَى ... صادفَ زاداً وحديثاً يُشْتَهى
إن الحديثَ جانِبٌ من القِرَى[2]

● وفى الحديث عن «إنزال الضيف» قولُ الآخر :

يابَنِيَّ ! اسمعوا إذا ماأبوكُمُ ... عاقه عائقٌ عن الأضيافِ
فاكفلوهم ، ولو بروح أبيكم ... أو بقطع الأعضاء والأطراف !

تعجيل الطعام للضيـف :

● ومن أحسن ماقيل فى «تعجيل القِرَى وذم تأخيره» قول الآخر :

أسأتم وأبطأتم على الضيفِ بالقِرى ... وخيرُ القرى للنازلين المعَجَّلُ

● وقول المحدث :

قدم لضيفِكَ ماتيسَّر من قِرًى ... فالقُلّ عند ذوى الحجامرخى
إن الذى يسخو بيابس خُبْزِه ... وبما تيسَّر عنده لسَخى[3]

---

(١) والمصريون يلحون فى أمثالهم الشعبية على هذا المعنى المستمد من السنة الشريفة فى حسن اللقاء ، وسعة الناس بقلوبنا فيقولون : «لاقينى ولا تغدّينى» .

(٢) القِرى بكسر القاف : طعام الضيف .

(٣) القُل : بضم القاف ، القليل . والحجا : العقل ، والسخاء : الكرم وقد ذكر العجلونى فى هذا المقام : =

تأجيل الغداء إلى العشاء !

● ومما يستحسن ويُسْتجاد «فى هذا المعنى» قول أحمد بن يوسف :

أبَني سعيدٍ إنكم من مَعْشَرٍ ... لا يحْسِنُون كرامة الأضياف
مَطِّلُوا الغداء إلى العشاء وقربوا ... زاداً ـ لعمرُ أبيك ـ ليس بكاف !
بينا كذلك إذْ أتى كبراؤهم ... يَلجُون فى التبذير والإسراف !

إكـرام مطيـة الضـيف :

● ومن أحسن ماقيل فى إكرام مطية الضيف قول الآخر :

مطيةُ الضيفِ عِنْدى عِدْلُ صاحِبها ... لا أكرمُ الضيفَ حتى أكرمَ الفرسا[1]

بـذل الطعام أولا بأول !

● وقال جميل بن معمر :

ولست بتارك لغدٍ طعاماً ... حِذارَ غَدٍ لكُلِّ غَدٍ طَعَامُ

● وقال آخر :

وماهى إلا جوعة ثم شبعة ... فكل طعام بين جنبىّ واحدُ

● وقال آخر :

كُلُوا اليومَ من رزقِ الإلٰهِ واشربوا ... فإن على الرحمنِ رزقُكُمُ غَدَا

● وقال آخر :

على كُلِّ حالٍ يأكلُ المرءُ زادهَ ... على البؤسِ ـ والسّراءِ والحَدَثانِ[2]

= «السخى قريب من الله قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس، بعيد من الجنة قريب من النار». رواه الترمذى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى السخاء (١٩٦١)، وقال الترمذى غريب. وإنما يروى عن عائشة مرسلاً وأورده الهندى فى كنز العمال برقم (١٥٩٢٨) وعزاه للبيهقى فى الشعب.

(١) عدل ـ بكسر العين : أى مساوية ومماثلة.

(٢) حَدَثانُ : الدهر : مصائبه.

ومن الأمثال السائرة :

وإذا تكون كريهة أُدْعَى لها ... وإذا يحاسُ الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدُبُ !(١)

● وقال آخر :

كل شيء سوى اللحم زورُ ... فما هو إلا خدعة وغُرور

● وقال محمد بن بشير :

أكلوا حتى شَبِعُوا ... حَمَلوا فضل الذى تركوا

● وقال منصور الفقيه :

رسم جرى فى الناس ليس بفاضلٍ ... جوع الجماعة لانتظار الواحدِ

● وقال آخر :

كلوا فى نصف بطنكُم تعيشوا ... فإن زمانكم زمن خميصُ(٢)

ماقيل فى ذم البخلاء !!

● أهجى بيت للجاهلية قول الأعشى :

تبيتون فى المشتى مِلاءً بطونُكم ... وجاراتُكم غَرْثى يَبِتْن خمائصَا(٣)

● وأهجى بيت للمتقدمين قول الأخطل(٤) :

قوم إذا استَنْبَحَ الأضيافُ كلبهمُ ... قالوا لأمّهِمُ : بُولِي على النارِ

---

(١) الحَيْس : تمر وأَقِطٌ وسمن تخلط وتعجن وتسوى كالثريد . ويضرب المثل لمن يذكر عند الشدة ، وينسى عند الرخاء .

(٢) خميص : يقال خمص الجوع فلانا : أضعفه وأدخل بطنه فى جوفه فهو خميص .

(٣) جائعات .

(٤) قاله فى بنى يربوع رهط جرير كما قال ابن رشيق فى كتابه « **العمدة** » ؛ لأنه قد جمع فيه ضروبا من الهجاء ، فنسبهم إلى البخل بوَقود النار لئلا يهتدى بها الضيفان ، ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسابلة ، ورماهم بالبخل بالحطب ، وأخبر عن قلتها ، وأن بولة تطفئها ، وجعل بولة عجوز وهى أقل من بولة الشابة ، ووصفهم بامتهان =

● وأهجى بيت للمحدثين قول أبى نُوَاس :

على خُبز إسماعيلَ واقيةُ البخل ... فقد حَلّ فى دارِ الأمانِ من الأكل
وماخُبزُه إلا كآوَى يرى ابنه ... ولم يرآوى فى حزون ولاسَهْلَ
وماخبزه إلا كعنقاءَ مغرب ... يُصَوّر فى بُسْطِ الملوك وفى المثل

● وقال أبو العباس المصيصى :

رأيت أبا نوحٍ وقد ذكر القِرى ... فأرسَلَ عينيه وشابت ذوائبه
رأى الضيف مكتوبا فظن بأنه ... لتصحيفه طيف فقام يحاربه

ولأبى نُواس[1] :

خُبزُ إسماعيلَ كالوشى ... إذا ماشُقّ يُرْفَا
عَجَباً مِن أثرِ الصنـ ... ـعةِ فيه كيفَ يَخْفى
إن رقّاءك هذا ... أحذقُ الأمَّةِ كَفَّا
فإذا قابل بالنصـ ... ـف من الجَرْدَقِ نصفا[2]
مِثْلَ ماجَاءَ مِنَ التّنـ ... ـورِ ماغَادَرَ حَرْفَا
أحْكَمَ الصّنْعَةَ حَتـ ... ـىَّ لايُرى موضِعُ إشْفى
ولَه فى الماء أيضاً ... عملٌ أبدع ظَرْفَا
مزجه العَذب بماء الـ ... ـبئر كى يزدادَ ضِعْفَا
فهو لايَشْرَبُ مِنْه ... مثل مايَشْرَبُ صِرْفا

= أمهم وأبتذالها فى مثل هذا الحال ، يدل بذلك على العقوق والاستخفاف ، وعلى ألا خادم لهم ، وأخير فى أضعاف ذلك ببخلهم بالماء» .

واستنبح الأضياف كلبهم : جعلوه ينبح . وكان من عادتهم إذا أرادوا أن يعرفوا مكانهم ، أو أن يهتدوا إلى قوم يأوون إليهم فى الليل تعرضوا للكلاب ، فجعلوها تنبح ، حتى يهتدى أصحاب الكلاب إليهم فيؤووهم تلك الليلة ويضيفوهم .

(١) قال هذ الشعر فى إسماعيل بن نوبخت الكاتب . كاتب السر للأمين بعد أن نصب إسماعيل فى صحن داره بيتا من خشب كالقبة ، واصطبح فيه أربعين يوما ومعه جماعة منهم أبو نواس ، فبلغت نفقته أربعين ألف درهم . ثم قال أبو نواس بعد ذلك هذا الشعر .

(٢) الجردق : الرغيف .

الحمـــدونى :

رأيتُ أبُا زُرَارَةَ قـال يومـاً ... لحـاجبه وفى يـده الحُسـامُ
حلالُ الله من أهلٍ ومـالٍ ... عليه ، وكل نجـوى حـرامُ
لَئِن حضرَ الطعام ولاح شخصٌ ... لاختَطَـفْتُ رأسـك والسلامُ
فقـالَ : سِوَى أبِيكَ فذَاك شيخٌ ... بغيضٌ ليس يردَعُـه الكـلامُ
فقـال ؛ وقـام من حنق إليه ... بقَـدٍّ لم يَزِدْ فيـه القيـامُ
أبى ، وبوابى أو الكلب عندى ... بمنزلـةٍ إذا حضـر الطعـام !

ضيف عمرو ، وعمرو !!

● وفى معنى بيت الأعشى المتقدم ذكره فى هذا الباب يقول من جَوّده وحَسّنه :

ضيف عمرو وعمرو يسهران معاً ... عمرو لكِظَّتِه ، والضيف للجوع[1]

ماذا يقول للضيف؟

وقال آخـر :

إن عَمْراً يقول للضيفِ : ما الأكلُ ... وما الشربُ من فِعَالِ الظريفِ !
ما يُرَجَّى الفتى الظريفُ يشرب ما ... يُعيدُه إليه دخول الكنيف[2] ؟!

خشـية الأضيـاف !

ومن أحاسن الظرف والغرر قول من أنشد له صاحبه :

أقاموا الدّيْدَبانَ على يفاعٍ ... وقالوا : ـ لاتنم ـ للديدبان[3]
فإن أبصرتَ شخصاً من بعيـد ... فصفّـق بالبَنَانِ على البنـانِ
تراهم خشيةَ الأضياف خُرساً ... يُصَلّـون الصلاة بلا أذان

---

(١) الكظّة : الامتلاء الزائد على الحد .
(٢) الكنيف : محل قضاء الحاجة .
(٣) الديدبان : الحارس . واليفاع : ما علا وارتفع من الأرض ، ويكون فى المشرف من الجبل والرمل أيضا .

صيـــانة الـزاد !

وقال آخر :

وتراهـم قبـل الغـداء لضيفهـم ... يتخللـون صيانـة للـــزاد[1] !

تعـويد الأضيـــاف :

وقال جُعَيْفران :

حديث أبي الصلت ذو خبرة ... بما يُصْلِحُ المعِدَة الفاسـدة
تخـوّف من تُخْمـةِ أضيـافهِ ... فعوّدهـم أكْلَـةً واحـدة

ما يقـال للضـيف !

وقال أيضـا :

أتيتُ ابنَ يَحيى وهْو يأكل فانثنى ... إليّ قَطُوباً إذْرَآنى وهَمْهَمَـا[2]
وقال : لماذا جئت ؟ قلت مُسَلّماً ... فقال : فقد سلّمتَ فارجع مِثلَمَا[3] !

خِـوانُ عيسَى ماذا يضـم ؟!

ابن الرومي :

خِـوانُ عيسى من نصف ترمسـهْ ! ... وصحفتاه من فلقتى عدسـهْ !
من ذَرّ ذُرَةٍ جَرادِقٌ ... تَخْفَي على العينِ فهى ملتبسهْ
لو نُخِلَتْ بالحرير لاشرأبّتْ ... من خَلَل النّسج غير محتبسـهْ
إذا افترسْتَ الرغيفَ أنَّ لَهُ ... كأنّ لَيْثاً هنـالك افترسـهْ
كأنما كلُّ لُقْمـةٍ أُكِـلتْ ... مفزوعةٌ من يديـه مُخْتَلَسَـهْ

---

(١) يتخللون : يخرجون ما بين أسنانهم من فضلات الطعام وهم هنا يخيلون للرائى وكأنهم أكلوا تضليلا له وصيانة للزاد .

(٢) قَطُوبا : عابساً مقطب الجبين . وهمهم : نطق بكلام خفى غير مفهوم ، وكأنما يحدث نفسه أولا بالمصيبة التى حلت به بحلول هذا القادم عليه وهو يأكل !

(٣) مثلما : أى مثل ما جئت ومن حيث أتيت .

سـؤال وجـوابه !

وقول المشطب البيهقى :

قلت لسَقّـاء على بابـه ... يَدْرُجُ بالقِربَـة مَطْبُـوغ :
لم تحمـلُ الماءَ على دارةٍ ... والخبز فيها نادرٌ ممْنوع ؟!
قال : لمن يُغْشى عليه ومَنْ ... يُغَسَّلُ إنْ مَاتَ من الجوُع !
ما ذنب الكلب ؟

وقال ابن سكرة الهاشمى :

قام إلى كلبٍ له مثلِه ... فلم يـزل يَعْلُوهُ بالسّـيفِ
فقلتُ : ما ذنُب أخيك الذى ... يقنع من دارِك بالطّيف ؟!
فقال لا أعفو عن ذنبه ... حاف علينا أيَّما حَيْفِ
صانعه الضيّف بعظمٍ له ... فنحن فى الرين من الضيف !
رغيف كُسِر !

وقال آخر :

رأيتُ فى داركم صيحةً ... ومرْهَماً مع امرأةٍ صالحهْ
فقلت : جَزَعٌ عندكم ؟ قيل لى: ... هذا رغيفٌ كُسِر البارحهْ !
قال لىَ البوابُ صَبْراً !!

وقال اخر :

جئتهُ زائراً فقال لى البَوّا ... ب صَبْراً ؛ فإنه يتغدّى
قلت : مهلاً قد سمعنا قديما ... «خبر لازم فلا يتَعَدّى !!»
رغيف أبى على :

وقال آخر :

رغيفُ أبى علىّ حَلّ خوفاً ... من الإنسانِ ميدانَ السّماك

إذا سُئِلَ الرغيفَ أتيته يوماً بكى. يبكى بكاء فهو باكى
يكـره .. ويشـتهى !

● وقال آخـر :

يحـذرُ أن تُتْخم أضيافُـه إنّ أذى التخمـة ، محذور
ويشتهى أن يؤجروا عنده بالصوم ؛ فالصـائم مأجـور!
رغيـف أبى نـوح !

● وقال عباس :

لأبـى نـوح رغيـف فيـه خمسـون علامـهْ
وعلى جنبـه الواحـد لقيـت الكرامـهْ
ثم لايأكـل إنسـان أتى يـوم القيامـهْ
وعلى الآخـر سـطـر «نسـأل الله السـلامـهْ

وقـال آخـر :

لأبـى نـوح رغيـف أبـداً فى حجـر دايَـهْ
ابـداً يمسحـه الـدهـ ـرَ بكُـمٍّ ووقايـهْ
ولـه كاتـب سـرٍّ خط فيـه بعنايـهْ
فسيـكفيكهـم اللـ ـه إلى آخـر الآيـهْ

قوله فى أنواع الأطعمة وصنوف الأكل :

خبـرات طعاميـة :

قال أحمد بن الحسين المقرى : سمعت «بنانا» يقول : أطيب مايكون «البَاذِنْجان» فى السكباج والحصرمية والمضيرة ، والكشكِيّة .

وأطيب مايكون «لحم الجمل» فى العدسية ، والمضيرة ، والحصرمية ، والكشكية .

وقال بنان : عصعص عَنز[1] خير من قدر باقلاء

وقال : سمعت «بنانا» يقول :

الأكل مع الإخوان يهضم ، والأكل مع الثقلاء يتخم !

نصائح بنان لمن كان يأكل معه :

وقال أحمد بن الحسين المقرى :

سمعت جعفر بن يحيى المدينى يقول :

حدثنى صديق لى قال : كنت عند «بنان» على مائدة فقال : لا تخالفنى فى كل ما أقول لك ... !!

فأتينا بـ «**قصيعة**» عليها «السميدان» فقال لى : كُلْ من الأحمر ؛ فإن فيه طعمين : طعم السكر وطعم الزعفران ، ولم يَدَعْنِي آكُلُ غيرَه !

ثم أُتِينَا بـ «الهريسة» فقال لى : كُلْ لُقْمةً ، أو لقمتين ، أو ثلاثة .

ثم أُتِينَا بـ «الزيرباج[2] الأحمر» فقال لى : كُلْ لقمةً ، أو لقمتين ، ولا تُكثر !

ثم أتينا بـ «القلايا» اليابسة فقال لى : لا تأكل إلا لقمة ، أو لقمتين ، أو ثلاثة ، ولا تُكثر ، وأولع بهذا الخبز اليابس ؛ يعنى الذى فى القَلِيَّة .

ثم أتينا بـ «البقلية» فقال لى : كل لقمة ، أو لقمتين .

ثم أتينا بـ «الشواء» ، فقال لى : لا تأكل منه شيئا ، وبقّ نفسك ؛ فإن فى كل يوم تصيب الشِّواء بدانق يقوم مقام ذاك ، ويكفيك !

ثم أُتينا بـ «الفالوذج» ، وكان كثيرا شبيها بالصومعة ، فقال لى : كل وأكثر ؛ فإنك لا ترى هذا كل يوم !

ثم أتينا بـ «اللَّوزِينَج» فقال لى : أزوج ، وثلث ؛ فإن مُتَّ مُتَّ شهيدا !

---

(١) عُصْعُص : أصل الذنب . عظم صغير فى نهاية العمود الفقرى . وهو هنا كناية عن أقل العظم وأصغره ! والباقلا : الباقلاء . نبات عشبى من الفصيلة القرنية تؤكل قرونه مطبوخة وكذلك بذوره .

(٢) الزرباج : يصنع من لحم طير سمين مع الكمون والخل . وهو مكون من زيرا : أى الكونر . وبا : أى طبيخ .

ثم أتينا بطبق عليه «دجاج سمين مشوى» فأكل أكل اثنين أو ثلاثة ، وقال : كل ولا تقصر ؛ فإن قيمة هذه ثلاثة دنانير ! ولا تأكل إلا ماله قيمة ، فأكل هو اثنين ، وأكلت أنا ثلاثة ! أو كما قال !

شـاهد عَيـان على بنـــان !

● وقال أحمد بن الحسن المقرى حدثنى جعفر بن محمد الكوفى قال : كنت مع «بنان» فى وليمة لرجل نبيل ، ومعنا جماعة من الكتاب على مائدة ، فكان قدام كل رجلٍ منا دجاجة مسمنة ، فضرب بيده ، فأخذها من قُدّام الرجل !

فقلت يا بنان ! ما هذا الفعل ؟

قال : إنه ـ أصلحك الله ـ مشاع غير مقسوم !

رأيـه فى الفالوذج :

● وقال أحمد أيضا : قيل لبنان : ما تقول فى «الفالوذج» ؟

قال : هو ـ والله ـ من طعام أهل الجنة فى الدنيا ، ولا أحد يرجع إلى عقل ومعرفة يسأل عن هذا !!

يا مُغَفّل ! كل أبداً حتى تموت ؛ فإن مت مت شهيدا ، ووقع أجرك على الله !

من خبـــراته :

وقال بنان : كثرة المضغ تشد العمود ، وتقوى الأسنان ، وتدبغ اللثة ، وتغذو أصولها .

عـلاج الغُصّـــة[1] !

وقال أحمد بن الحسن المقرى : قال لى وصيف لنا : كان بنان يجيؤنى فى عرسى ، فقلت له :

ضيقت علىّ ! فقال : إن لم أنفعك لم أضرك !، فغصصت ؛ فقال لى :

ارفع رأسك إلى فوق ، وتنفس ثلاثا ، فإنه ينزل ما أكلت !

(١) الغُصة مايعترض فى الحلق من طعام أو شراب .

رأيه فى الماء البارد !

وقال أحمد أيضا : سمعت بنانا يقول : نقصان لونين ، وماء بارد هو أحب إلىّ .

من نصائح بنان بعد القيام من المائدة :

وقال أبو الحسن « بنان » :

● وإذا قمت من المائدة ، وقد تغذيت فاقعد فى وسط الدار يضربك الهواء !

وادعُ بالشراب ، فإن أتوك بنبيذ ، فهو أحب إلىّ ... رطلا أو رطلين ! ، ولا تصب فيه الماء .

● فإن أتوك بفقاع[1] فلا تكثر منه ؛ فإن كثرته تُغْشى ،

● وإن حلفوا عليك ، فأدخلوك البيت ، فلا تقعد فى الصدر ؛ فإن القعود فى الصدر قعود مُغَنٍّ أو مخرف ! ، وإذا أردت أن تقضى حاجة ، أو تبول يصعب عليك القيام ، وتستحى ممن فى المجلس من قيامك ، أو قعودك !، فاقعد بجنب الباب !

● وإن كان فى البيت فاكهة كثيرة فاجذب منها إليك تأمن من أن تذهب ، وتبقى أنت بلا شىء !

ولا تكن أنت الساقى ، وكن ذنبا ، ولا تكن رأسا .

● وإن كان فى المجلس مغنية ، وغلام حسن الوجه ؛ فاتق الله فى نفسك ، ولا تولع بواحد منهما ، والزم العافية ، فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿**ولا تمدّنّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا**﴾ [١٣١/طه] .

● وإذا دار النبيذ فى الأقداح فانظر خير نبيذ[2] يكون فى مجلسك فخذ قنينة ، وقداحا ، واشرب على مهلك .

---

(١) فقاع : شراب يتخذ من الشعير .

(٢) يقال : نبذ التمر نبذاً ونبيذاً ، ونبذ الشىء : طرحه ونبذ فلان التمر والعنب ونحوهما اتخذ منهما نبيذاً . وهنا يفرق بنان بين النبيذ والخمر ، فيأمره أن يتقى الله فى الخمر ويشرب ماشاء من عصير الفواكه . لكنه يعود فيقول : إياك أن تسكر ! اشرب خمسة أقداح .. ستة .. سبعة ولا تسكر الخ . ولكن ماأسكر كثيره فقليله حرام ، وعلينا أن نغلق أبواب الشر .

● وإذا رأيتهم يخلطون فى حديثهم ، فلا تشاركهم .

● وإن كان فى المجلس خمر ، فاتق الله ولا تشرب منه ، ولا تقعد فى مكان يكون فيه !

فقد حدثنى علىّ بن سهل بن المغيرة ، وعلى بن الحسن ، وصالح المرازى كلهم يرويه عن معاوية عن النبى ﷺ أنه قال : «**من شربَ الخمرَ فاجلدوه ومن عاد فاجلدوه ، فإن عاد فاجلدوه ، فإن عاد فاقتلوه**»[1] .

محظـــورات ومحـــاذير !! وتوجيهـات !

● ياأخى ! إياك أن تسكر ! ، وأن يرى القوم منك زَلّة ، أو كلمة غليظة ! ؛ فيحكم بها عليك ، ولعلك مستور بين جيرانك ، فتخرج وقد انتهك سترك عندهم ، ولعلك إمام أو مؤذن ؛ فهى الفضيحة التى لا تجبرَ أبدا !!

● وعليك بخبر حسن ، أو صوت حسن ؛ فإنهم كلهم يميلون إليك وتصير سيدهم .

● وإن خلطت ، وولغت ، ومزحت ، فإنما هو صفع كله . وعداوة جيرانك لا تجبرها أبدا .

● وإياك أخى أن تسكر ... اشرب خمسة أقداح .. ستة أقداح .. سبعة أقداح .. ولا تسكر !

فإن خشيت من نفسك السكر فقم وأنت صحيح ، وعقلك معك ، ولا تأمن الحدثان !

سلمنا الله وإياك ياأخى من آفات الدنيا والآخرة ، فاقبل وصيتى ، فإنك ترشد إن شاء الله !

---

(١) أخرجه ابن حبان فى صحيحه من حديث أبو سعيد الخدرى (٣٠٩/٦) ، وذكره السيوطى فى الجامع الكبير ص ٧٨٨ وعزاه للضياء المقدسى .

ألقاب الأطعمة وكُناها عند بنان[1]

الأطعمة وآلات الطعام	ألقابها عند بنان ، وكناها !
الجفنـــــة	أم كثيـــر . [القصعـة]
الخُـــوان	أبو جـــامع . [المـائدة]
الطسـت والإبريـق	بشـروبشـــير .
الطيفـورية	أم روح .
الغضـــارة	أم الفـــرج . [وعاء كبير يتخذ من الخزف][2]
منديـــل الغمـــر	أبو اليســـير .
الخبز الحُوّارى	كنى بنان الخبز الحوارى أبونعيم . [الدقيق الأبيض]
الخشـــكار	أبو جابـــر .
السـمـيذ	أبو الســرور ، ويقـــال : أبو الملك .
اللحـــم	أبو عاصـــم .
البقـــل	أبو جميـــل .
الخـــل	أبو ثقيـــف .
الحمـــل	أبو حميـد[3]
الجـــدى	أبو حبيـــب[4]

(١) أفرد صاحب «نثر الدرر» فى الجزء الثانى بابا عنوانه : ألقاب الأطعمة وغيرها على مذهب الطفيليين . وانظر محاضرات الأدباء ١٠ : ٣٧٨ . وما بين المعقوفين زيادة من عندنا للإيضاح .

(٢) الغضارة : وعاء يتخذ من الخزف ونحوه [القاموس] .

(٣) فى نثر الدر : الحمل : شهيد ابن شهيد .

(٤) فى نثر الدر : الجدى : أبو العريان .

الأطعمة وآلات الطعام	ألقابها عند بنان ، وكناها !
الدجـــاجة	أم الخيـــر [1]
الجـــبن	راشـد الخـــانق [2]
الزيتـــون	خنافـــس الخـــوان .
الصحنـــاءة	أم البـــلايا . [ضرب من الكامخ] [3]
الكَشْـــكية	أم حفص [طعام يتخذ من ماء الشعير]
الباقِـــلَّى	أبو ربـــاح
الفـــالوذج	أبو العـلا . [نوع من الحلوى يعمل من الدقيق والعسل] [4]
الخبيـــص	أبو نعيم . [طعام من سمن وتمر ودقيق]
اللـــوزينج	قبـــور الأطفـــال .
القطـــائف	قبـــور الشـــهداء
العصيـــدة	أم ســـهل .
المـــاء	أبو الغيـــث [5] .
النـــديم	أبو الكمـــال .
المجـــلس	أبو محمـــود .
المنارة والســـراج	أبو صيـــاح .
الخـــلال	كتـــاب العـــزل .
الأشـــنان	أبو اليـــأس . [يقوم مقام الصابون]

(١) الدجاجة : فى نثر الدر : سمانة القوادة .

(٢) فى نثر الدر : الخناق .

(٣) الصحناءة : فى المخصص ٥ : ٩ ضرب من الكامخ . وفى القاموس : إدام يتخذ من السمك الصغار . مُشَهٍّ مصلح للمعدة .

(٤) الفالوذج : فى نثر الدر أبو مضاء .

(٥) الماء فى نثر الدر : أبو غياث .

رثـــــاء بنـــــان !!

وقال أحمد بن الحسن :

رثى بعض الشعراء « بنانا » عند موته فقال :

١ ـ يأيها الميتُ الذميـــــ ـم لذى الأقارب والأباعـد
٢ ـ مَن للهَـرائِس إذْ فُقِدْ ت وللشّرَائِد والعصـائـد !
٣ ـ وحُضـورِ أيّـامِ الـولا ئم والقعودِ على المـوائد !
٤ ـ والأكْلِ ما قدَرَتْ عليـــ ـه يداك مِنْ حارٍّ وبارِدْ ؟!
٥ ـ قد كُنْتَ تلْتَقِمُ الرّءُو سَ إذا خَلَوْتَ وفى الشواهِدْ
٦ ـ وتَعِيثُ فى مالِ الصـد يق كوَارِثٍ فى مالِ والـد
٧ ـ أظننتَ أنك سوف تخـــ ـلُدُ وابن آدمَ غيرُ خـالد ؟!

فى رثـاء بعض الطفيليـين :

وقال غيره :

أنشدنى رئيس الرؤساء ، جمال الورى ، شرف الوزراء : أبو القاسم على بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر لأبى عبد الله البنانى يرثى بعض الطُفيليين :

١ ـ أبكى لفقدك عند كل غَداء ولطيب أكلك عند كل عَشَاء
٢ ـ ياشيخ أهْلِ الأكْلِ غير مُدَافَع لو كنتَ تسمَعُ أو تجيب ندائى
٣ ـ لو تستطيعُ لك الموائد فِدْيةً لفَدَتْ ، وكيف ؟ ولات حين فدائى !
٤ ـ مَنْ للجَرادِق والرّقاق ومَنْ لأقـ ـراصِ السّمِيذِ ومَنْ لخُبْزِ الماء ؟!
٥ ـ وبَوَارِدٍ بَرُدَ الغليل لحسْنها كالروضِ أضحكه بكاءُ سماء !
٦ ـ مُحمَرَّةٌ فى الخلِّ فى جنباتها مُخْضَرَّةٌ بالبَقْلِ والقِثَّاء !
٧ ـ أبكيك للمبسوطة الصفرا ء تأتى أمام هريسةٍ بيضاء
٨ ـ أبكيك للحَمَلِ السمينِ وتارةً أبكى عليك لدخلة ألياءِ
٩ ـ وكذاك للجدى الرضيع مُبَرّزاً وصفاير يتبعن جنبَ شِواءِ

١٠ ـ لهْفي عليك إذا الغُروفُ تَنَا بعت لهفاً يُديمُ تنفّسَ الصعداء
١١ ـ عمّت مصيبتُك الورى طُرّاً عموم حنادس الظلماء
١٢ ـ مَنْ للثريد إذا ارْتَوى مِن دُهْنه في الصحن رَىّ سحابةٍ وصفاء
١٣ ـ وتكللت جنابته بمجزّع ذات السديف به على الأرجاء
١٤ ـ أمّن يُفَسِّرُ كلّ مشكل أَكْلةٍ أعيت على الندماء والأكلاء
١٥ ـ قرحت عيون النرجسية بعده شوقا إلى الكَشْكِيّةِ الخضراء
١٦ ـ وتبارتا أسفاً عليك ولوعةً وكذاك شرطُ تفرُّقِ القرناء
١٧ ـ ذلّتْ بمصرَعِك الولائم واغتـ دى التطفيلُ رهنَ كآبةٍ وبُكاء
١٨ ـ أبقيتَ في قلب القطائف حسرةً لا يُستقلُّ بها صباح مساء
١٩ ـ هيهاتَ أن يَنْسَى اهتشاشك نحوه بطويلِ باعِك واليد الرعْشَاء
٢٠ ـ ولَرُبّ يومٍ أيّومٍ أفنيت في علم الطعامِ وليلةٍ ليلاء
٢١ ـ لطَمَ الخُوانُ وقَدْ نُعِيتَ تَحَرُّقاً واستعبر الطنجير للحلواء
٢٢ ـ وتجرع الجوذاب[1] بثكلك وانثـ نى يشتى بفضلك عن أبى الصهباء
٢٣ ـ أما وقد غالتك غائلة الردى فليأمن الحيوانُ سفكَ دماء
٢٤ ـ ياقانصَ الفَرّوج من سَفُّوده قنصتْك كَفٌّ آذنت بفناء
٢٥ ـ عَفَتِ المطابخُ والقدور وأُعْفيتْ فيها طُهاتُك بعد طُول عناء
٢٦ ـ وتركْتَ أنضاءَ المغارف ظُلَّعاً حَسْرَى من الأنفالِ والأعباء
٢٧ ـ لاغروَ إن كشف المروس راسه حزناً عليك وشق كل رداء
٢٨ ـ قد كنتَ تصفيه المَودةَ والهوى وتخصّه بمَودة وولاء
٢٩ ـ إن كان ضعضعك الزمان فطالما أودى بكل مصمصم أبّاء
٣٠ ـ لاتبعدَنّ وقد بعدت وكل ذى قربٍ رهينُ تباعُدٍ وتنائى
٣١ ـ وسقى ثراك مُجَلْجِل واهى العـ ـرى يهمى عليه بدُهن كل سلاء
٣٢ ـ وازداد قبرك جونة مشحونة تسعى إليك بها يَدُ الوصفاء
٣٣ ـ ومُؤانساك أُوزّة وأرزّة صِينَت عن الأدناس والأقذاء
٣٤ ـ فلقد تركت العُرسَ بعدك مأتماً وأقمتَ سوقَ الحُزْن والبُرَحاء
٣٥ ـ واهاً فإن مصابَنا كان مفتـ ـاح الهموم وغايـةَ الضراء
٣٦ ـ خذها إليه مسيحةً سيارةً تُنْبيك عن عهدٍ وحُسْنِ وفاءِ

(١) الجوذاب : طعام من سكر وأرز وحوز ولحم معرب كوزاب .

مِن دعـــاء بنـــــان :

قال أحمد بن على : قال رجل لبنان الطفيلى :

ادْعُ لى ! قال : فرفع يديه وقال : مَنّ الله عليك بصحة الجسم ! ، وكثرةِ الأكلِ ، ودوامِ الشهوة ،ونقاء المعدة ! ومتّعك بضرس طَحُون ، ومَعِدَةٍ هَضُوم ، مع السَّعَةِ والدّعَة ، والأمن والعافية .

ثم قال : هذه دعوة مغفول عنها !

صنعة التطفيل فى عينى بنان :

وقال أحمد بن الحسن : سمعت بنانا يقول : ما فى الدنيا أحسن من صنعتى ! أنا أطفل منذ ثلاثين سنة ماأسلموا إلىّ صبيًّا قط !

بنان يُعَوّذ ابنه عندما رآه يتلمظ

وقال أحمد بن الحسن : سمعت بنانا يقول : رأيت ابنى يوما يتلمظ ، فجعلت أدعو له ، وأقول : أرجو أن تكون خلفاً صالحاً ؛ يعنى فى التطفيل !

تعجيل الوليمة ، وتأجيلها :

قال : وسمعت « بنانا » يقول : اصطناع الوليمة إذا لم يعجلها فهو عيب واحد ، وإذا عجلها فهى عيوب كثيرة !

إحـــدى المصيبتيـــن :

وسمعت بنانا يقول : الشر والاختلاف فى الوليمة إحدى المصيبتين !

مـــن أنـــت ؟

قال : وأتى بنان قوماً ليدخل إليهم ، فقالوا له : من أنت ؟ قال : أنا الذى كَفَيْتُكُم مُؤْنَةَ الإرسالِ إلىّ !

أى الطعـام أطـيب ؟

وقيل لبنان : أى الطعام وجدت أطيب ؟ قال : ما اتسع صدر صاحبه !

ســـبعة قاتـــلة :

قال : وسمعت بناناً يقول : سبعة يُضْنِينَ بل يَقْتُلْنَ :

١ ـ إذا كان صاحب الوليمة بخيلا .
٢ ـ والبوابُ كذاباً صَلِفـــاً .
٣ ـ والقيّم على الناسِ بغيضاً سَيِّىءَ الأدب .
٤ ـ والخباز لا يحسن عملَ الطعام .
٥ ـ وكان قذر الكف .
٦ ـ والمائدة حتى توضع
٧ ـ والمجلس ليس فيه غناء ولا نبيذ فهو كالبيت الخرب(*) .

وســبعة تبعث الســرور وتضــاعفه !

وسبعة يزدن صاحب الوليمة سروراً أو فرحـاً بما هو فيه :

١ ـ إذا كان شيخا كريما جواداً لم يُسْأَل شيئاً إلا جاد به .
٢ ـ والحاجب إذا كان ظريفاً لبيباً .
٣ ـ والوكيل ـ أو قال : القيم ـ إذا كان عاقلاً حسن الأدب ! يُنزلُ الناسَ منازلهم ؛ ويرتبهم .
٤ ـ والخباز إذا كان طيب العمل نظيف الكف .
٥ ـ وغلام عاقل يضحك فى وجوه الناس ويحثهم على الأكل .
٦ ـ والمائدة إذا وضعت ، وكان معك من تحبهُ ويحبك يأكل معك ، وليس بجنبك ثقيل ولا بغيض ، فيزحمك ويؤذيك .
٧ ـ ومجيء أصحابك العقلاء الذين يعرفون حقك ، ويكرمونك ، ويجلونك ، ويحلفون بحياتك ، وتعرف السرور فى وجوههم .

(*) هذا رأيه وعليه تبعته !

فصلوات الله على هؤلاء وعلى من والاهم وليس يبدؤك بما تكره إلا من بخل ، أو سفل ، أو من فى نسبه شىء .

والمجلس الذى يكون فيه النبيذ والغناء الطيب ، فهو كمثل من حدث القوم ، بحديث وهم يشتهونه !

ماذا تفعل لو دعاك اثنان فى وقت واحد ؟

قال : وسمعت « بنانا » يقول : إذا دُعِيتَ إلى دعوتَيْن فأَجِبْ أقربَهما باباً إليك ! قال الخطيب :

وقد جاءت السنة عن النبى ﷺ بمثل ذلك عن الحسن بن على التميمى قال : قال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ إنه قال : «**إذا اجتمع الداعيان فأجب أقربهما باباً ؛ فإن أقربهما باباً أقربهما جواراً ؛ فإذا سبق أحدهم فأجب الذى سبق**» .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : إن لى جارين ، فإلى أيهما أهدى ؟ قال : «**إلى أقربهما منك بابا**»[1] .

بنـــان والدجـــال :

وقال محمد بن على الجلاب ، سمع بنان رجلا يقول : الدجال ـ يخرج فى سنة قحط معه جرادق أصبهانى ، وملح دارانى ، وأُنجذان[*] سرخسى .

فقال : هذا ـ عافاك الله ـ رجل يستحق أن يُسمعَ له ويُطَاع[2] !

لقاء على شرف العصيدة :

وقال أحمد بن الحسن المقرى : سمعت بنانا الطفيلى يقول : دعانى صديق لى ، وعنده قوم من التجار ، فاشتهيت عليه عصيدة ، فجاءنى بدوشاب خام سيلان لم تصبه النار ، ودقيق من هذا المحور قد نخل بمُنْخُلَيْن : دقيق وجليل ، فتراه كأنه سحالة الذهب . فى البوتقة ، وسمن عربى بصرى ، وطنبحير واسع مجلى ، وساعد قوى .

---

(١) رواه أبو نعيم .

* أُنجُذان : نبات أسود وأبيض يقاوم السموم جيد لوجع المفاصل وملطف .

(٢) لا يستغرب من بنان وأمثاله ممن همهم فى الأكل أن يكون رأيه تبعا لهواه !

وعلامة الإنضاج من الدقيق : أن يقول : نَقْ نَقْ . وعلامة الإنضاج من السمن أن يقول : بق بق . ثم أتيت بجون قحفى مقشور ، وطرح فيها ، وحرك حتى اختلط . ثم أتيت بطيفورية رحراحة فأقليت ، وصيرت فى وسطها فَبدا فيها سمن ، فقعد معنا عليها قوم مجان لم يعرفونى إلا بعد ، فأخذ بعضهم لقمةً فألقاها فى السمن وقال : ﴿**فكبكبوا فيها هم والغاوون**﴾ [الشعراء : آية ٩٤]

وقال الآخر ﴿**إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيرا**﴾ [الفرقان : ١٢] . وجر السمن إليه ؛ فذهب . قلت : ﴿**وبئر معطلة وقصر مشيد**﴾ [الحج : ٤٥] . وجرفت السمن إلىّ .

فقال الآخر : ﴿**أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا**﴾ [الكهف : ٧١] . وجر السمن إليه .

فقلت : ﴿**.. أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز**﴾ [السجدة : ٢٧] ، وجرفت السمن إلىّ .

فقال آخر : ﴿**فيهما عينان نضاختان**﴾ [الرحمن : ٦٦] . وجر السمن إليه ، فقلت : ﴿**فيهما عينان تجريان**﴾ [الرحمن : ٥٠] . وجذبت السمن إلىّ .

وقال آخر : ﴿**فالتقى الماء على أمر قد قُدِر**﴾ [القمر : ١٢] وجر السمن إليه ، فقلت : ﴿**فسقناه إلى بلدٍ ميت**﴾ [فاطر : ٩] وجذبت السمن إلىّ ، فلم أر أحدا يتكلم فقلت أنا : ﴿**وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى ، وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين**﴾ [هود : ٤٤] .

وخلطت السمن بما بقى من العصيدة ، وضحكوا ، واختنق واحد منهم ، فمازالوا يلطمونه حتى نزلت اللقمة والحمد لله على سلامته كثيرا[1] .

---

(١) للقرآن أثره فيمن يحفظونه ، فيكثر على ألسنتهم الاستشهاد به ، والاقتباس منه ، ونجد ذلك فى شعرهم ونثرهم ، وحوارهم دون أن يتحرجوا ، بل كانوا يجدون فى ذلك مهارة ومقدرة وبراعة ، وكان القرآن منهم موضع التكريم والتعظيم ، وكيف لا وهو كلام رب العالمين ! لكن ينبغى أن ننأى به عن مثل تلك المواقف التى يبرز فيها طابع التندر وإن كنا أمام عرض لألوان من التراث !

بنـان يعرض حاجتـه !

وقال أحمد بن الحسن المقرى : سمعت أبا عبد الله الحسين بن جعفر الكوفى يقول :

قال بنان الطفيلى : عمل محمد بن عبد الله بن طاهر وليمة .

قال : فجئت مع من دخل ، فقصدنا إلى مائدة أجلّ مائدة عليها بنو هاشم .

ثم قال : فدعا محمد بن عبد الله بشر بن هارون كاتبه ، فقال له :

ويلك من صاحب هذه الكمة ؛ يعنى قلنسوةً سوداء على رأسه ، وطيلسان أخضر لست أعرفه ؟!

قال : فقال : ياسيدى ! هذا رجل يقال له « بنان » يشهد هذه الولائم ، دعى أو لم يُدْع !!

قال : فقال محمد بن عبد الله بن طاهر : يابشر ! إذا تغدى جئنى به !

فلما جاءه به قال : أيْش أنت[1] ؟!

قال : ــ أطال الله بقاء الأمير ــ أنا رجل أشهد الولائم دعُيتُ أو لم أُدْعَ .

فقال : سلنى حاجتَك . قال : ياسيدى ! حاجتى ألا يشاركنى أحد هذه الصناعة ، فكتب لى منشوراً ألا يدخل علىّ أحد فى هذه الصناعة ــ أو قال : العمل ــ إلا يدى عليه مطلقة[2] .

قال : فكتب لى منشورا بما يجب ، وأمر لى بمائة دينار . قال أبو عبد الله أحمد بن الحسن : فأنا قرأت المنشور بخطه بخط بشر النصرانى .

---

(١) يعنى : من أنت ؟ وأى شىء أنت ؟

(٢) أى يكون له الأمر والنهى ، ويصبح عريفا ونقيبا .